

## علم اللاهوت الأبائي

دراسة اللاهوت المسيحي اليوم من الدراسات التي تحتاج إلى صلاة ومعرفة وتأمل ، فلا إيمان من غير معرفة ولا معرفة من غير إيمان ، وقد تبدو الثيولوجيا ( اللاهوت ) في دراستها شائكة وتحققها بعض الصعوبات ، إلا أن الآباء علمونا أن اللاهوتي حقاً هو الذي يُصلي ، لذلك نحتاج أن ندرس ونُصلي ، ونُصلي وندرس ( صلي وأنت تعمل واعمل وأنت تُصلي ) .

والاجابات على سؤال : " ما هو اللاهوت - الثيولوجيا ؟ " ، لاتزال في طريق النمو، إلا أن معنى اللاهوت أو الثيولوجيا كثيراً ما يبدو تقنياً ، مليئاً بالمصطلحات الدقيقة التي تحتاج إلى شروحات وتبسيط !!!

ولأن المكتبة العربية فقيرة ، إلى حد ما ، في الكتابات التي تبحث في هذا المجال ، لذا أقدم هذا الكتاب " معنى الثيولوجيا - اللاهوت " وهي محاولة لفحص معنى لفظة " ثيولوجيا " في فكر آباء الكنيسة الأولى ، والغاية منه أن يكون مقدمة لكتابات أخرى نحتاجها ونتطلع إليها وسط التحديات الإيمانية والأيدولوجيات المعاصرة ... حقيقة أن تيارات فكرية كثيرة ، تلزمنا لندرج إلى الينابيع الأبائية الأولى غير الغاشية ، وإلى عذوبة الخبرة المسيحية الأولى ، تلك الخبرة التي تنبني على محبة الصلح ، وروح الصلاة والحُب والذبايح والتسك وجمال العشق الإلهي .

لقد تناولت في هذا البحث فحص مبدئي يغوص في المعنى والمفهوم الأبائي للفظ " ثيولوجيا " ، وهو لا يُشكل فحصاً شاملاً وكاملاً ، لأنه يتناول فقط بعض الآباء كنماذج مختارة ، ونأمل أن يُقدم العمل فكرة واضحة وكافية عن أسلوب الكنيسة الأولى الواحدة الوحيدة ، وحواراتها عن " الثيولوجيا " .

إننا لا نُؤمن بالله جامد إستاتيكي فرد صمد ، ولكننا نُؤمن بالتألوث القدوس المُمجّد ، وليس هناك معرفة من غير علاقة صميمية وشركة عميقة مع التألوث المُحيي ، لذلك لن يستفاد من هذه الدراسة البحثية المنهجية ما لم تكن سبب بركة لحياتنا جميعاً ، فالرب نور للذين يعرفونه يُهدي الودعاء في الطريق .

إن دراسة اللاهوت تحتاج إلى توبة مُستمرة ديناميكية تُوجّه الفكر ليعود من الحُولي والأرضي والمادي إلى ما هو طبيعي وسامي وسموي ، لذلك نحتاج إلى تقديس الحواس والسلوك بلا عثرة ، وما الأرثوذكسية إلا استقامة التعليم واستقامة الحياة أيضاً .

وثمة أمر هام أحب أن أشير إليه ، أنه بالرغم من الاتجاه الدراسي البحثي والأكاديمي لهذا الكتاب إلا أنه ، أولاً وقبل كل شيء وفوق كل شيء ، دعوة حياتية لخبرة حياة نعيش فيها إيماننا الأقدس وعقيدتنا في شخص المسيح ، فنرى النور اللامخوق ، وعندئذ نُعطي المجد لله الذي أحبنا وبذل ذاته من أجلنا ، فنواظب على التسبيح والتمجيد ( الذكصولوجيا ) الذي لا يشيخ بل يتجدد في أعماقنا ، مُسبحين الرب الذي يليق به التسبيح ، الذي كللنا بفرحة الطيب الغامر وعمله الخلاصي العجيب الذي اقتنى به الكنيسة بالدم الكريم الذي لمسيحه .

وليست دراسة منهجية اللاهوت بالدراسة الجافة أو العقيمة ، نحدو فيها إلى العقلانية ، بل هي اتحاد بالله وتجاوب بين إرادتنا الشخصية وعمل النعمة الإلهي ( السينرجي ) ، كقاعدة وأساس إيمان الكنيسة ، لأن اللاهوت نعمة .... ( نعمة التألوث ) ، وهو تلمذة غالية ونفيسة ، نتلامس فيها مع لاهوت الله وقوته ومجده وعمله الخلاصي وغفرانه العجيب .

ولن نُعرف " الثيولوجيا " بالدراسة بل " بالعبادة " ، والمواظبة على ترديد الاسم الحسن اسم المسيح الاسم الحلو المملوء بركة والمملوء مجدداً وخلاصاً ، الذي كل من يدعو به ينجو ، ليت الله يكشف عن عُيوننا لندقق في حياتنا وننسر بل بئساب اللاهوت أي المسيح أحشاء الرّحمة والصلح والاتضاع ، الرَّاعي والفادي والرب المُخلص الذي ليس بأحد غيره الخالص .

إن اللاهوت أساس الكرازة ، وجوهر خدمة التعليم الكنسي ، وسير التسبيح وركيزة التربية الليتورجية ودُعامة الحياة النُسكية ، ومن خلال الفكر النقي المُستقيم الغير معشوش نُؤمن ونعرف ونحيا ونتأمل لاهوتياً ونعبد بكل طاقاتنا واشتياقاتنا ، التي هي هبة الله للإنسان في المسيح يسوع ، ومن ثم في الكنيسة التي هي جسده مُستودع النعمة ، التي لا خلاص لأحد خارجها .

وعلم اللاهوت الأبائي Patristic Theology لا يبحث عن إثبات وجود الله وطبيعته وسماته وأعماله بطريقة مجردة وإنما كحياة بها ومعها وفيها نعيش ، لهذا يتسع علم اللاهوت ليحمل بين طياته كل ما يمس الحياة الداخلية والخارجية ، كشف لنا عنها الآباء كمفهومات وصيغ تعليمية ، بل كخبرة مسيحية حيّة وعاملة في حياة الكنيسة ، وكحقائق خلاصية واقعية ومُعاشة يُعلنها الروح القدس الرب المُحيي .

لقد فرّق الآباء بين معرفة العقل ومعرفة الذهن الروحي ، الأولى تستخدم المنطق والجدل والتحليل العقلاني ، والثانية رؤية روحية صافية استنارة واستعلان ، فالذهن مقره القلب ، أمّا الفكر فمكانه العقل ( الدماغ ) ، وفي هذا لا ياغي الآباء ملكة التفكير المنطقي للذهن ، ولكنه يعني معرفة حدود العقل ، لذلك حرص الآباء على أن لا يتركوا العنان للعقل والآراء الذاتية ، لأنّ معرفة الله هيّة روحية ومعرفة حيّة ، معرفة محبّة وشركة وتقديس ، فلا فرق بين طريق المحبّة وطريق المعرفة ، لأنّ المعرفة الحقيقية تُفترن بالمحبّة والإفراز الواعي والصلاة القلبية الدائمة وترديد اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح .

إنّ القلب هو الذي يصنع اللاهوتي Pectus Thologum Faci ، فمعرفة الله لا تجعل منا فلاسفة وعلماء بل تجعلنا قديسين نظير القديس الذي دعانا سالكين في طريق الكمال كما أنّ أبانا السماوي هو كامل ، والمعرفة اللاهوتية السريّة على النقيض من كل معرفة بشرية تأتي من عقل الإنسان ، لذلك اللاهوتي الحقيقي هو من له شركة مع الله ، وكما أنّ دراسة اللاهوت تُحسب معرفة ، هي أيضاً إيمان وحيّة وتقديس وبذل وانسكاب ونسك وتسبيح وشهادة وشركة وخدمة دياكونية ، فيا لِعَنَى معرفة الله تلك الهبة الروحية هيّة الشركة مع الثالوث القديس ، ومع السمائيين ، ومع المؤمنين .

والآن – عزيزي القارئ – أحب أن أجدب انتباهك إلى المدينة العظيمة المحبّة للمسيح ، أصل الكرازة وبيت العلم ومركز الحياة الفكرية المتألّقة الحيّة ، حيث واجه آباء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية خليطاً من الفلسفات كان عليهم أن يُجابهوه بذات الأسلوب ، فصارت الأسكندرية عقل المسيحية وأوّل كرسي للتعليم المسيحي ، بل قلّ أنها قلب المسيحية النابض ، تحمل سمة الحياة والمعرفة ، حيث التعدّد والتنوّع ، الذي جعلها تقف أمام العالم كله كنيسة مُشرقة حكيمة غنية قوية مُرهبة كجيش بألوية ، إذ وقفت أمام العالم كابنة الملك المُلتحفة بثياب مزركشة ، لتصير الكنيسة كل شيء مع كل أحد ، تلمس أوتار كثيرة لقلوب كثيرة ، كنيسة إكليمنضس السكندري والعلامة أوريغانوس والقديس ديديموس الضّرير المُبصر ، والعظيم البابا أثناسيوس الرسولي حامي الإيمان ، والبابا كيرلس عمود الدين وسراج الأرثوذكسية ، والبابا ديسقورس بطل وفخر الأرثوذكسية .

وشكراً لله لأنه كما كان هكذا يكون من جيل وإلى جيل ، تبقى كنيستنا دوماً معلّمة للمسكونة وخزانة للتقليد الرسولي وأداة لحفظ التعليم الصحيح ، كنيسة علم ولاهوت ، حيث كرسي الأسكندرية مهد اللاهوت المسيحي

القمص اثناسيوس فهمي جورج

٢٢ سبتمبر ٢٠٠٩

للدراستات الآبائية

<http://www.ixoyc.net>

[frathanasius.george@ixoyc.net](mailto:frathanasius.george@ixoyc.net)